المحاضرة السادسة: نظرية الاحتواء

حاولت العديد من النظريات تقديم تفسيراً للسلوك المنحرف، ولم تقتصر هذه النظريات على علم الاجتماع فحسب بل تعدته إلى علم النفس والعلوم الأخرى، ومما يزيد في صعوبة تفسير السلوك المنحرف صعوبة التنبؤ به، وقد يعود ذلك إلى تنوع الظروف والثقافات والمتغيرات، وبالتالي لا نعجب إذا كان هناك العديد من النظريات الاجتماعية والنفسية التي تتعايش مع بعضها بعضاً، كما في نظرية الاحتواء التي حاولت دمج العديد من المتغيرات النفسية والاجتماعية في نظرية واحدة لتقديم تفسير للسلوك المنحرف .

وهنا تبدو الحاجة ماسة إلى نظرية تجمع المجالين السيكولوجي والسوسولوجي في تفسير السلوك المنحرف كما في نظرية الاحتواء، والتي حاولت التعرف على مستوى:

_ **الاحتواء الداخلي** (مفهوم ذات جيد، الضبط الذاتي، وقوة الأنا والأنا الأعلى) في التقليل من الميل للانحراف.

_ **الاحتواء الخارجي** المتمثل في دور كل من (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق) في التقليل من الميل للانحراف.

أجرى العالم "والتر ركلس" (Walter Reckless 1899-1988) مجموعة من الدراسات التتبعية لمجموعتين من الأطفال تم تصنيفهم إلى أولاً طبيين وأولاد سيئين من معلمهم وأصدقائهم، واستغرقت الدراسة أربعة سنوات، حيث تم تتبع هؤلاء الأطفال من سن 12 سنة إلى 16 سنة، وتوصل "ركلس" أن المجموعة الأولى أي الأولاد الطبيين يتمتعون بصورة جيدة عن الذات، بينما يتمتع الأولاد السيئين بمفهومهم سيء للذات، ويرى أن ذلك من شأنه أن يحد من الجريمة أو يزيد من الانحراف، واعتقد أن القضية تتعلق بالتنشئة الاجتماعية، وهكذا ولدت نظرية الاحتواء أو نظرية مفهوم الذات كما يسميها البعض

وطبقاً لمكونات نظرية الاحتواء لركلس. **فالاتجاه السيكولوجي** يعنى بالدراسة العلمية للسلوك والعقل والتفكير ودراسة المفاهيم والمتغيرات الداخلية للشخصية الإنسانية، والتي تشكل قوة دافعة للسلوك الإنساني مثل: مفهوم الذات والمكونات العقلية الثلاث (الأنا والهو والأنا الأعلى وغيرها)، بهدف التوصل إلى فهم السلوك وتفسيره والتنبؤ والتحكم به، ومثل هذه المتغيرات الداخلية في الشخصية، تحدد إنتاج كل من السلوك السوي أو غير السوي.

أما الاتجاه الثاني الذي عني بتفسير السلوك الإنساني وهو **الاتجاه السوسولوجي**، حيث اهتم باستخدام الطرق المنظمة والتحقق التجريبي والتحليل النقدي لتطور المعرفة حول المجتمعات الإنسانية ونشاط الإنسان الذي يتراوح بين المستويين المايكرو Micro أي الجزئي مثل المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وغيرها، وكذلك الماكرو Macro أي الكلي كالأنظمة الاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها.

نجد أن نظرية الاحتواء Containment theory تعد من نظريات الضبط الاجتماعي التي تركز على التضامن الاجتماعي في الضبط الاجتماعي، وأن هناك العديد من العوامل الاجتماعية والنفسية التي تشكل قوة دافعة للسلوك الإنساني، حيث لم تغفل نظرية الاحتواء عن المتغيرات النفسية في تفسير السلوك المنحرف، حيث أكد **ركلس** أن الفرد يتعرض لنوعين من الضغوط هما: **(1) الضغوط الداخلية:** وتمثل الرغبات النفسية أو الميول التي تدفع الفرد نحو الجريمة وتشمل العدوان والإحباط والغضب والتوتر والثورة والصراع العقلي والحاجة إلى الإشباع الآني. **(2) الضغوط الخارجية:** والتي تشمل الضغوط الاجتماعية والشروط الحياتية الصعبة كالقفر والحرمان، والبطالة، أما عوامل الجذب الخارجية تشمل جماعة الرفاق المنحرفين والعضوية في ثقافات فرعية للمنحرفين والفرص غير المشروعة والصور الإعلامية.

ويرى **ركلس** أنه يمكن التصدي للضغوط الداخلية والخارجية وعوامل الجذب الخارجية والداخلية عن طريق الاحتواءات الداخلية والخارجية، وأن الأطفال الذين يتعرضون للاحتواءات الداخلية والخارجية هم أقل ميلا للانحراف والجريمة.

وبذلك تعد نظرية الاحتواء من النظريات التكاملية التي اهتمت بدراسة الفرد في المجالين السيكولوجي النفسي، والسوسولوجي الاجتماعي حيث ركز **ركلس** من خلال نظريته على نوعين من الاحتواء هما

1_ الاحتواء الداخلي Inner containment أو العوازل الداخلية، ويشمل مفهوم ذات جيد، أنا قوية،

وأنا أعلى متطورة، وضبط ذاتي جيد وتحمل عالي للإحباط والقدرة على إيجاد بدائل للإشباع، وتحديد الأهداف، والإحساس بالمسؤولية بما يطور الإحساس الموجب بالذات والالتزام بالقيم أو القوانين.

2-الاحتواء الخارجي Outer containment أو العوازل الخارجية التي تشكل الحاجز والعازل البنائي في بيئة الفرد ومحيطه الاجتماعي، وتتألف من عوامل مثل الإحلال وتعزيز السلوك الجيد والقيم والمعايير والتوقعات الاجتماعية والانضباط الكافي والإشراف والإحساس بالانتماء والهوية والعلاقات

خصوصا في العائلة، وهذه العوامل تساعد كل من (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق) في احتواء الأطفال، وتفترض نظرية الاحتواء أن السلوك المنحرف يزداد عندما يضعف الاحتواء الداخلي والخارجي.
أولاً: الاحتواء الداخلي: ويضم

_ مفهوم الذات **Self-Concept** حصيلة مجموعه من العوامل الاجتماعية المتفاعلة كالعلاقات الوالدية الجيدة وعزل الفرد عن مجموعة الأفراد الجانحين، وعلى النقيض من ذلك افترض **ركلس** أن مفهوم الذات السلبي هو حصيلة تفاعل العوامل الاجتماعية غير الناجحة كالعلاقات الأسرية غير الجيدة والانضمام لجماعة الرفاق المنحرفين .

_ **قوة الأنا والأنا الأعلى المتطورة**: تفترض نظرية الاحتواء بأننا جميعا لدينا الحوافز للسلوك الإجرامي، ولكن الفروق الفردية في السلوك الإجرامي لا تشير إلى الاختلاف في الحافز بل تشير إلى وظيفة الضبط التي تمارسها الأنا Ego والأنا الأعلى Super-ego في الأوضاع الخارجية الفورية، ولتطوير نضج الأنا والأنا الأعلى فنحن بحاجة للدفاع والعناية والانتباه والإشراف والتدريب المباشر والنمذجة المباشرة وتطور مهارة الأخلاق، ولكن ما يمنع تطور الأنا والأنا الأعلى هو الإساءة والإهمال.

_ **الضبط الذاتي Self - Control**: يعد مفهوم الضبط الذاتي من متغيرات الاحتواء الداخلي، وتستند هذه النظرية إلى أن الأفراد الذين يتمتعون بالضبط الذاتي المرتفع هم أقل ميلا وبكافة الفئات العمرية للانخراط بالانحراف، بينما أولئك الذين يتمتعون بالضبط الذاتي المنخفض أكثر ميلا لارتكاب الجريمة.

ثانياً: الاحتواء الخارجي:

أكد **ركلس** في الجزء الثاني من نظريته وهو الاحتواء الخارجي، الذي يتكون من دور (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق)، حيث تشكل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق بيئات اجتماعية رئيسة لغالبية المراهقين، ويقضون غالبية أوقاتهم إما في البيت أو المدرسة أو مع الرفاق، فهذه البيئات الثلاث تشكل تأثيراً كبيراً على سلوك المراهقين.

_ **الأسرة**: هي إحدى أقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرئيسة في الحياة، لأنها تعلم الأطفال ضبط سلوكياتهم غير المقبولة، وتأجيل الإشباع، واحترام حقوق الآخرين، فممارسة الأبوة الإيجابية خلال السنوات المبكرة ولاحقاً في المراهقة يظهران كحواجز يمنعان السلوك الجانح وأن أفضل مرحلتين تمارس الأسرة دورهما في رعاية الأفراد هما الطفولة والمراهقة.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أن الجنوح كان أكثر احتمالية للحدوث عند الأطفال من أسر وبيوت مفككة، مع وجود التوتر ضمن الأسرة، والأبوة والأمومة غير المرضية، وعدم التماسك والثبات والإحباط الاجتماعي في الأسرة، وإن تعرض الفرد لأنواع مختلفة من العنف داخل الأسرة وخارجها، أو افتقار البيئة المحيطة به عاطفياً سيؤدي لانشغال المراهق بالأعمال الجانحة وخصوصاً في فترة المراهقة المبكرة. **_ المدرسة:** أكد ركلس على دور المدرسة في الاحتواء الخارجي للمساهمة في التقليل من الانحراف. حيث يمثل النسق التربوي أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملاً حيويًا في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره، بنقل القيم والمعايير، فالمدرسة ليست فقط لتزويد الفرد بالعلم والمعرفة بل تمارس دوراً كبيراً في تنشئة الأطفال، وتعد كذلك بيئة آمنة للوقاية من الانحراف من خلال العديد من النشاطات التي تمارسها تجاه الأطفال كالإشراف والمراقبة وتعزيز السلوكيات الجيدة وتأكيد القوانين والقواعد والتعليمات للمحافظة على السلوكيات السوية، بينما توصلت العديد من الدراسات البريطانية بأن سلوك الجانحين كان استجابة للافتقار للنجاح المدرسي والعملي.

_ جماعة الرفاق: أما المتغير الثالث الذي أكد عليه ركلس في الاحتواء الخارجي هو جماعة الرفاق، فهي تمارس دوراً مهماً في التنشئة الاجتماعية لأن الأفراد يحاولون الالتزام بتوقعات جماعة الرفاق، وهذه الجماعة لها خاصية الاحتواء، فجماعة الرفاق تسهم في تنمية الفرد نفسياً واجتماعياً، لأنها تزود الفرد بالقبول وتقلل أيضاً من المشكلات السلوكية لأنها مستندة على الاحترام المتبادل والتقدير، وتزود الفرد بتقدير الذات وتشكيل صورة الذات وتساعد على التوافق النفسي، وتسهم في تطويرهم عاطفياً واجتماعياً، أما الأفراد غير القادرين على إقامة علاقات وصدقات مع جماعة الرفاق ذات المستويات العالية من الجودة، فإن ذلك يؤدي بهم إلى الانخراط في السلوك العدواني، والشعور بالوحدة والاكتئاب، وتعد جماعة الرفاق المنحرفة عاملاً حاسماً في الجنوح، وذلك من خلال تأثير جماعة الرفاق وضغط الرفاق.

ومنه فمتغيرات الاحتواء الخارجي (الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق) تؤكد على التنشئة الاجتماعية، وبالتالي تؤثر على قوة أو ضعف متغيرات الاحتواء الداخلي التي قد تقود للسلوك المنحرف أو السلوك السوي نتيجة تأثير التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الفرد، ولذا تعتبر نظرية الاحتواء من نظريات التنشئة الاجتماعية والتي أكدت عليها من خلال المفاهيم السيكولوجية والسوسيولوجية التي تمثل أصولاً لنظرية الاحتواء.